المغالاة بالصور

لقد يعجب الشرقي اذا قيل لهُ ان الصورة الواحدة التي لا تزيد مساحتها على متر مربع تباع احياناً بالف جنيه او اكثر الى عشرين او ثلاثين الف جنيه . ويزيد عجبهُ اذا علم ان تلك الصورة عينها كانت تباع ببضعة جنيهات وان صورًا مثلها لمصورين غير مشهورين قد لا تباع بعشرات الجنيهات . والسبب الاكبر للمغالاة بالصور تنافس الاغنياء في احراز مالا يحرزهُ غيرهم واهتمام باعة الصورة بترغيبهم في ذلك . ومن اشهر هؤلاء الباعة بيت كرستي في مدينة لندن وهو دلّال نشأ في اواسط القرن الثامن عشر وكان في اول امره يبيع التحف والتركات على انواعها من الصور والاسلحة القديمة الى الخيل والمركبات والخنازير والبراميل ثم اقتصر على بيع الصور والتحف وجعل يعرض ما يريد بيعهُ في غرفة فسيحة ويدعو العظماء والاغنياء لمشاهدتهِ ولا يدع احدًا من السوقة يمتزج بهم فزادت المنافسة بينهم رويدًا رويدًا حتى بلغت ما بلغتهُ الآن وصار محل كرستي مجمعًا للاشراف وارباب الثروة

وكانت اثمان الصور حينئذٍ طفيفة جدًّا . ففي اول مزاد أُقيم سنة ١٧٦٧ بيعت صورة من تصوير هلبين باربعة جنيهات وثمانية عشر شلنًا وصورة من صور تشيان بجنيهين وشلنين وصورة من صور غويدو بجنيه وشلن . وبلغ ثمن كل ما بيع في يومين مئتين واربعة واربعين جنيهًا وثمانية عشر شلنًا وهو لو بيع الآن لبلغ عشرات الالوف من الجنيهات . ثم زادت رغبة الاغنياء في ابتياع الصور وزادت مغالاتهم بها حتى ان صورة من صور رينلدز اخذ ثمنها مئة جنيه بيعت في المزاد سنة ١٨٢٨ فبلغ ثمنها الفًا ومئتي جنيه

ولما حدثت الثورة الفرنسوية جعل كثيرون من امراء فرنسا وعظمائها واغنيائها يبيعون ما عندهم من التحف فانتقل كثير منها الى انكلترا ووصل الى محل كرستي فبيعت صورتان منها بسبعة الآف جنيه وهما من تصوير كلود . وشاع ذلك في اوربا فقال المصورون واصحاب الصور ان سوقها في مدينة لندن فقصدوها بصورهم من كل بلدان اوربا وجعلت الدول ترسل معتمديها الى محل كرستي هذا لتستوجع صور اهاليها باي ثمن كان كما حدث في صورة "الحبل بلا دنس" التي بيعت سنة ١٨٥٣ وكانت للمرشال صلت فان حكومة فرنسا اشترتها بنحو ثلاثة وعشرين الف جنيه

قال احد الكتّاب وقد دخل محل كرستي منذ عهد قريب ورأى الصور تباع فيهِ انهُ رأى هناك جماعة من اكبر رجال الانكليز مثل دوق دفنشير ومركيز لنسدون ونحوهما من عظماء

الامَّة وكثيرين من كبار المصورين ومبتاعي الصور لمتاحف اوربا واميركا. فأُتي اولاً بصورة لادي سلينابارك من تصوير غاينسبرو ووقف الدلال ومطرقة العاج في يده ونادى الجمع قائلاً كم تدفعون فقال واحد الف جنيه وقال آخر الفاً وخمس مئة وآخر الفين وآخر الفين وخمس مئة وآخر ثلاثة آلاف وآخر ثلاثة آلاف وخمس مئة ووقفوا عند هذا الحد. فجعل الدلاَّل ينادي ويقول ثلاثة آلاف وخمس مئة جنيه ثلاثة آلاف وخمس مئة جنيه. فعاد الناس الى المزايدة وزادوا مئة بعد اخرى حتى أبلغوها ثلاثة آلاف وثماني مئة جنيه ووقفوا عند هذا الحد فرسا المزاد على احدهم. وهم يقولون ان الصورة ليست من احسن صور المصور غاينسبرو والاَّ لفاقت هذا الثمن كثيراً لان احدى صوره وهي صورة دوقة دفنشير بيعت سنة ١٨٧٦ بعشرة آلاف ومئة جنيه وصورة اخرى وهي صورة لادي ملغراف بيعت سنة ١٨٩٥ بعشرة آلاف جنيه وهي نفسها بيعت بالف وسبعين جنيهاً قبل ذلك ببضع عشرة سنة

وتباع الصور والتحف غالباً من مجاميع اصحابها اذا ماتوا ولم يستطع ورثتهم الاحتفاظ بها او اذا افتقروا او اصابتهم نائبة اخرى من نوائب الدهر. ولا يندر ان تباع التحف التي جمعها الملوك والامراء والعظماء لان الدهر في الناس قلَّب "ان دان يوماً لشخص ففي غد يتغلَّب". وفي اوربا اناس عملهم التفتيش عن الصور القديمة في الاماكن المهجورة وابتياعها بارخص الاثمان والذهاب بها الى حيث تباع باثمان فاحشة. وكثيراً ما تكون مزوَّرة صنعت في ايطاليا او المانيا وعزيت الى مصور قديم مشهور. ويقف صاحبها واصدقاؤه يتزايدون في ثمنها الى ان يتقدَّم غرٌّ جاهل من اصحاب الملايين ويتزايد معهم فيرسو المزاد عليه

ويغالي اولئك الاغنياء بكل التحف النادرة كما يغالون بالصور ففي الربيع الماضي بيعت حقَّة صغيرة من حقق السعوط بستة آلاف واربع مئة جنيه وقد كانت للملك لويس الخامس عشر. وبيعت ثلاثة آنية من خزف سڤر بعشرة آلاف جنيه وكاس من الزجاج المنقوش بالقين وستمئة جنيه

وقد يتزايد المشترون ويفرطون مغايظةً ثم يندمون ولات ساعة مندم. من ذلك ان بعضهم ابلغ صورة "دانيال في جب الأُسود" التي صورها روبنس الى اربعة آلاف وتسع مئة جنيه فرسا مزادها عليه بهذا الثمن ثم باعها لصاحبها بالفي جنيه وقد بيعت هذه الصورة عينها قبل ذلك بمئتي جنيه. وكثيراً ما تباع الصورة بثمن فاحش بناء على انها صورة حقيقية للصور المنسوبة اليه ثم توجد مزورة لا تساوي شيئاً. وقد تباع بثمن بخس لانها تكون مغطاة بالاوساخ ثم يظهر انها من اثمن الصور لكن ذلك صار نادراً الآن لمهارة منتقدي الصور. وقد

باع محل كرستي هذا صورًا سنة ١٨٨٢ بلغ ثمنها اكثر من ستمئة الف جنيه . فاعجب بغنى امة تشتري من دلال واحد ما ثمنهُ ستمئة الف جنيه تمًا ليس من الحاجيات في شيء

وغني عن البيان ان صورًا يغالي الناس بها الى هذا الحد ويتباعونها بالوف الجنيهات تتجه اليها انظار اللصوص فيحاولون اختلاسها بكل واسطة . وقد نجحوا في اختلاس كثير من الصور المشهورة من ذلك صورة كونتس دتشتير المشار اليها آنفًا . فان بعض اللصوص نزعوها من الاطار الذي حولها ولفُّوها وهربوا بها ثم وجدت وبيعت فاشتراها بيربنت مورغان المثري الاميركي

ومن ذلك ايضًا صورة مار انطونيوس وهي للمصور مورلّو واكبر صوره ومن اجملها وكانت في كنيسة اشبيلية الكبرى وقد عرض دوق ملبرو ان يشتريها بستة وثلاثين الف جنيه فلم تبع لهُ . وسنة ١٨٧٤ شاع ان بعض اللصوص عازمون على سرقتها فضوعف الحرس الذي يحرسها واضيف اليهِ كلبان كبيران . وفي الخامس من شهر نوفمبر وجد خرق كبير فيها فان اللص قطع منها صورة مار انطونيوس وهي تصلح ان تكون صورة على حدتها . وبذلت الحكومة الاسبانية جهدها في التفتيش عن السارق والصورة المسروقة ونشرت صورتهما بالفوتوغراف في الآفاق فلم تقف لها على اثر . وفي السنة التالية عُرضت الصورة المسروقة للبيع في نيويورك باميركا والذي عُرضت عليهِ عزف انها الصورة المسروقة واخبر قنصل اسبانيا بذلك واشتراها بمئتي جنيه وكان الذي باعها رجلاً اسبانيًا فقبض عليهِ وظهر انهُ هو السارق وردت الصورة الى مكانها

ومنها صورة المجدلية متكئة تقرأ وهي اجمل صور المصور كورجيو سرقت من متحف دزسدن سنة ١٧٤٧ هي وصورتان اخريان غيرها . والظاهر ان السارق لم يكن راغبًا فيها بل في الحجارة الكريمة المرصعة بها فانها وجدت بعدئذٍ في تبّان واطارها منزوع منها . ومثل ذلك ما اصاب صورة من صور رفائيل فانها وجدت عند فلاح في ايطاليا سنة ١٨٧٦ وقد وضعها في شباك مكسور ليسدهُ بها ورآها عابر طريق فاستغرب وضعها في شباك مكسور وطلب ان ينظر فيها وكان خبيرًا بالصور فعرف للحال انها صورة رفائيل التي صورها ليت روفر

ومنذ خمس سنوات كان سيفي متحف الصور الانكليزية المعروف بالرواق الوطني صورة سيدة واولادها الثلاثة من تصوير السر يشوع رينلدز اهدتها اليهِ لادي هملتون سنة ١٨٩٢ ثم اتضح ان لادي هملتون كان يحق لها ان تمتلك هذه الصورة ما دامت حية ولكن لا يحق

لها ان تبيعها ولا ان تهبها فاستردها اصحابها سنة ١٨٩٩ وباعوها للمتر بيت باثنين وعشرين الف جنيه

ولا تفسر مغالاة الناس بالصور والتحف الى هذا الحد الاَّ برغبة الاغنياء في الامتياز على غيرهم فيرون ذلك في احراز الاشياء النادرة او المنقطعة النظير وتقع بينهم المنافسة فيوصلون الصورة الى مئة الف جنيه وحقة السعوط الى ستة الآف جنيه كما تقدَّم

العمر والتدابير الصحية

لم تبقَ شبهة في ان التدابير الصحية تطيل العمر. الاَّ ان اظهار ذلك بالارقام ليس سهلاً في هذا القطر كما هو سهل في غيره لأن احصاء السكان والمواليد والوفيات حديث فيه. اما البلدان الاوربية ولاسيما المدن الانكليزية فالاحصاء فيها قديم ودقيق وقد ظهر من احصاء الوفيات في مدينة لندن منذ ستين سنة الى الآن ان العمر آخذ في الازدياد فكان متوسط الوفيات السنوي نحو ٢٥ في الالف فصار الآن نحو ١٥ في الالف اي كان متوسط عمر الانسان ٤٠ سنة فصار الآن نحو ٦٦ سنة وهاك جدول متوسط الوفيات السنوي منذ سنة ١٨٤١ الى آخر العام الماضي

المتوسط السنوي بين سنة	١٨٤١ و١٨٥٠	٢٤٫٨
" " " "	١٨٥١ و١٨٦٠	٢٣٫٧
" " " "	١٨٦١ و١٨٧٠	٢٤٫٤
" " " "	١٨٧١ و١٨٨٠	٢٢٫٥
" " " "	١٨٨١ و١٨٩٠	٢٠٫٥
" " " "	١٨٩١ و١٩٠٠	١٩٫٢
المتوسط	١٩٠١	١٧٫١
"	١٩٠٢	١٧٫٢
"	١٩٠٣	١٥٫٢

ويظهر من ذلك ان متوسط عمر الانسان كان نحو ٤٠ سنة بين سنة ١٨٤١ و١٨٥٠